

شهادات السماء

بقلم: شكري حبيبي

يعتقد الكثيرون أن الرب يسوع المسيح هو الذي ادعى أنه ابن الله. ودائماً شهادة الإنسان عن نفسه تبقى ناقصة وغير دقيقة. لكن لو عدنا إلى صفحات الكتاب المقدس لوجدنا أن الله الأب هو الذي شهد وأعلن أن الرب يسوع المسيح هو ابن الله. وأن هناك ثلاث شهادات مباشرة وثلاث شهادات غير مباشرة. سنستعرض في هذه المقالة ونتأمل بهذه الشهادات الست جميعها.

الشهادة الأولى: عندما أتى الملاك جبرائيل مُرسلاً من الله ليبشّر العذراء مريم بولادة الطفل يسوع، قال لها: «وَمَا أَنْتِ سَتَحْبِلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّيَنَّهُ يَسُوعَ. هَذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنُ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الْإِلَهَ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ.. فَقَالَتْ مَرِيْمٌ لِلْمَلَاكِ: «كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلًا؟» فَأَجَابَ الْمَلَاكُ وَقَالَ لَهَا: «الرُّوحُ الْقُدُّوسُ يَحِلُّ عَلَيْكَ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تَظَلُّكَ، فَذَلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنَ اللَّهِ» (لوقا ١: ٣١-٣٢، ٣٤-٣٥). هنا الله نفسه يشهد عن طريق الملاك جبرائيل، أن الطفل المولود سيكون عظيماً وابن العلي يُدعى. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل أضاف الملاك قائلاً للعذراء مريم: الروح القدس سيحل عليك، وقوة العلي تظلك، ولذلك فإن القدس المولود منك يُدعى ابن الله. ولنلاحظ أن هذه الشهادة حصلت قبل ولادة الطفل يسوع المسيح، وأكدت على كونه ابن العلي وابن الله.

الشهادة الثانية: عندما ذهب الرب يسوع المسيح ليعتمد على يد يوحنا المعمدان، يخبرنا البشير متى: «فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدْ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ

اللَّهِ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ، وَصَوَّتْ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلًا: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِّرْتُ» (متى ١٦: ١٧). هنا مرة ثانية يشهد الله الأب عن المسيح أنه ابن الله. وكانت هذه الشهادة ضرورية للتأكيد قبل بدء المسيح لخدمته انه هو حقاً ابن الله.

الشهادة الثالثة: عندما أخذ المسيح تلاميذه الثلاثة بطرس ويعقوب ويوحنا إلى جبل عالٍ منفردين. فتغيّرت هيئة المسيح أمامهم، وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور. «وإِذَا مُوسَى وَإِيلِيَّا قَدْ ظَهَرَا لَهُمْ يَتَكَلَّمَانِ مَعَهُ. فَجَعَلَ بَطْرُسُ يَقُولُ لِيَسُوعَ: «يَا رَبُّ، جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ هَهُنَا! فَإِنَّ شَيْئًا نَصْنَعُ هُنَا ثَلَاثَ مَظَالٍ: لَكَ وَاحِدَةً، وَلِمُوسَى وَاحِدَةً، وَإِيلِيَّا وَاحِدَةً». وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا سَحَابَةٌ نَيِّرَةٌ ظَلَّلَتْهُمْ، وَصَوَّتْ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلًا: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِّرْتُ. لَهُ اسْمِعُوا». وَلَمَّا سَمِعَ التَّلَامِيذُ سَقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَخَافُوا جَدًّا. فَجَاءَ يَسُوعُ وَلَمَسَهُمْ وَقَالَ: «قُومُوا، وَلَا تَخَافُوا». فَرَفَعُوا أَعْيُنَهُمْ وَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا إِلَّا يَسُوعَ وَحْدَهُ» (متى ١٧: ٣-٨). هذه الشهادة الثالثة مهمة جداً إذ لم تؤكد لتلاميذ المسيح حقيقة كون المسيح ابن الله فحسب، بل دعتهم للاستماع له وإطاعته وحده فقط، مقارنة مع رجلي العهد القديم موسى وإيليا.

لقد كان موسى يمثل الناموس أو الشريعة، بينما يشير إيليا إلى كل أنبياء العهد القديم. وبولادة المسيح ومجيئه إلى عالمنا تمت كل الرموز والإشارات، ولم تعد هناك حاجة إلا للاستماع له وحده. فالمسيح هو ابن الله الذي يجب أن نسمع له فقط، أي أن نؤمن به ونتبعه. وكانت هذه شهادة ضرورية لتلاميذ المسيح في مرحلة معينة من مرافقتهم له.

لنتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لن ينقرض (راجع دانيال ٧: ١٣-١٤). هنا لا يبدو تعبير ابن الله ظاهراً أو واضحاً. لكن كيف فهم رجال الدين اليهود هذه النبوءة؟ عند محاكمة الرب يسوع المسيح نجد رئيس الكهنة يوجّه سؤاله للمسيح قائلاً: «أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ قُلْتَ! وَأَيْضًا أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الْآنَ تَبْصُرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ». فَمَزَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ حِينئذٍ ثِيَابَهُ قَائِلًا: «قَدْ جَدَفْتُ! مَا حَاجَتُنَا بَعْدَ إِلَى شُهُودٍ؟ هَا قَدْ سَمِعْتُمْ تَجْدِيفَهُ!» (متى ٢٦: ٦٣ ب-٦٥). من الواضح أن رئيس الكهنة أدرك ومن كتب العهد القديم (سفري المزامير ودانيال خاصة) أن المسيح المنتظر يجب أن يكون هو نفسه ابن الله. ولهذا اتهم المسيح بالتجديف عندما أعلن له أنه هو نفسه الذي تكلم عنه النبي دانيال، أي أنه هو ابن الله.

أجل، إننا نحتفل في هذه الأيام ليس بولادة الطفل يسوع المسيح فحسب، بل نحتفل بولادة ابن الله الوحيد. ابن الله الذي شهدت عنه السماء نفسها، وأعلن الله الأب وبشهادات عديدة أنه ابن الله. فهل تراك قارئ تؤمن بابن الله الوحيد والمخلص الفريد؟ وعندها تحتفل بولادته حقاً وفعالاً.

الشهادة الرابعة: عندما سأل المسيح تلاميذه قائلاً: «مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا ابْنُ الْإِنْسَانِ؟» فَقَالُوا: «قَوْمٌ: يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ، وَآخَرُونَ: إِيلِيَّا، وَآخَرُونَ: إِرْمِيَا أَوْ وَاحِدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ». قَالَ لَهُمْ: «وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» فَأَجَابَ سَمْعَانُ بِطَرَسُ وَقَالَ: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ!». فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «طُوبَى لَكَ يَا سَمْعَانُ بَنَ يُونَا، إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلَنَ لَكَ، لَكِنْ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (متى ١٦: ١٣ ب-١٧). هنا نلاحظ شهادة غير مباشرة أنت بإعلان خاص من عند الله الأب إلى الرسول بطرس. وهذه الشهادة أكدت أن المسيح هو ابن الله الحي.

الشهادة الخامسة: كتب النبي والملك داود ويوحى من روح الله القدوس في المزمور الثاني قائلاً: «إِنِّي أَخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ: قَالَ لِي: «أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدَتُكَ. اسْأَلْنِي فَأَعْطِيكَ الْأُمَمَ مِيرَاثًا لَكَ، وَأَقَاصِي الْأَرْضِ مُلْكًا لَكَ. تُحَطِّمُهُمْ بِقَضِيبٍ مِنْ حَدِيدٍ. مِثْلَ إِنَاءِ خِرَافٍ تُكْسِرُهُمْ». فَالآن يَا أَيُّهَا الْمُلُوكُ تَعَقَّلُوا. تَادَبُوا يَا قُضَاةَ الْأَرْضِ. اعْبُدُوا الرَّبَّ بِخَوْفٍ، وَاهْتَفُوا بِرِعْدَةٍ. قَبَلُوا الْإِبْنَ لئَلَّا يَغْضَبَ فَيَتَبَدَّوْا مِنَ الطَّرِيقِ. لِأَنَّهُ عَنْ قَلِيلٍ يَنْقُدُ غَضْبَهُ. طُوبَى لِجَمِيعِ الْمُتَكَلِّينَ عَلَيْهِ» (مزمور ٧: ٢-١٢).

هنا نجد نبوءة واضحة عن مجيء الرب يسوع المسيح الذي هو الابن. ودعوة جميع البشر ابتداء من ملوك وقضاة الأرض لكي يعبدوا الرب ويؤمنوا بهذا الابن الوحيد الفريد قبل أن يتقد غضبه ويدينهم. وهذه شهادة أخرى ولو بشكل غير مباشر ومن العهد القديم تؤكد أن المسيح هو ابن الله.

الشهادة السادسة: رأى النبي دانيال مثل ابن إنسان مع سحب السماء أتى وجاء إلى القديم الأيام فقرّبوه أمامه. وأنه أعطي سلطاناً ومجداً وملكوته